السِّبـاق

بدأ السباق.. بدأ دفقةً هادرة من بعد سكون.. تلفَّتُّ حولي فرأيت آلافاً مؤلفة من المتسابقين.. وعجباً... فكانوا جميعاً وأنا منهم في حالة سكون ونوم منذ لحيظات خَلَتْ.. ثم بدأنا في الإحماء استعداداً للحظة بدء السباق..

بدأ السباق بعدة طلقات ما إن سُمِعَتْ الطلقة الأولى، حتى انطلقت بكل ما أوتيت من قوة وإصرار نحو هدفي.. هدفي الذي لن أحيد عنه ما حييت..

إنه لأكبر سباق في التاريخ ولاشك.. فعدد المتسابقين يفوق الثلاثين مليون متسابقاً.. جاؤوا من مختلف الأمكنة لينالوا شرف المشاركة، أو لينالوا الشرف العظيم، وينالوا الجائزة الكبرى.

دارت كل هذه الأفكار في رأسي، وأنا أنطلق في سرعة أحاول أن أجتاز مَن أمامي، وأن أمنع بسرعتي أن يجتازني أحد.. شحذتُ همتي أكثر وأنا أتذكر الجائزة الكبرى التي تنتظرني إن فزت في هذا السباق.. تذكرت يوم أن أعلن السلطان عن إقامة

هذا السباق في هذا الموعد على أن يزوِّج ابنته الجميلة من يفوز.. تذكرت جمالها ورقتها وحسبها ونسبها وطوت قدمي أرض السباق، وكأنها تسابق أفكاري المتلاحقة وسط أنفاسي اللاهثة..

إنه لحقٌ سباق غريب!.. فالفائز ليس من يصل إلى غرفة الأميرة أولاً فحسب؛ بل هو من يصل إلى هذه الغرفة ويستطيع أن يقتحمها بقوته أيضاً، وكأنها ملكة النحل التي يلاحقها سرب النحل كله، حتى يصل إليها أسرع وأقوى النحل، وبذلك تضمن الملكة قوة نسلها وسلامته.

تلفتُّ حولي فوجدت عدد المتسابقين بدأ يقل بين الحين والآخر.. فبعض المتسابقين الضعفاء لم يستطيعوا أن يكملوا السباق ومنهم من تنحّى في جانب أرض السباق ليأخذ نفسه.. ازداد إصراري على الوصول، فتعديت ثلاثة متسابقين كانوا أمامي.. بدأت أحس ببعض الإرهاق، فقد مضى نحو نصف السباق وبقي حوالي ثلث المتسابقين كلٌ يطمع في أن يصل أولاً لتكون الأميرة الجميلة من نصيبه..

إنه ليس بأكبر سباق في التاريخ فحسب، فهو بلا شك أطولهم، فالرقم القياسي السابق لهذا السباق هو يومين ونصف،

ومضى الآن حوالي اليَوْمان، ومازال جميع من تبقى يحاول جاهداً أن يبقى إلى النهاية لينل رضى السلطان أو ليفوز بالأميرة.. في الثلث الأخير كأصعب ما يكون، وبدأت أشعر بتعب ونصب لم أحسه في حياتي من قبل.. ما زلت أتصدر السباق ولا يسبقني إلا اثنان من المتسابقين فقط.. حاولت مراراً أن أتخطاهم، ولكن بدا لي أنهما محترفان... فهما يحافظان على سرعتهما منذ أن بدأ السباق.. لابد أن أتخطاهم.. لابد..

فجأة من بعيد ظهرت غرفة الأميرة.. لاحت وكأنها سحابة بيضاء... أفرغتُ كل طاقتي في هذه المسافة الباقية، ونظرت إلى الغرفة البيضاوية في إصرار وأنا أراها تقترب... وتقترب...

ما زالا أمامي... ها أنا اقتربت من أحدهما... نظر إليّ في غضب... أغمضتُ عيني وصرخ قلبي: إني آتٍ يا أميرتي...!!

وصل صدى صرختي إلى أوصالي فزادني قوة وتخطيت ذلك المتسابق بصعوبة، وهو ينظر إليّ في يأس... واليأس ليس مكانه في هذا السباق... فلن تتزوج الأميرة إلا الأسرع والأكثر إصراراً.... و..... والأقوى.... رأيت المتسابق الأول

يصل إلى الغرفة قبلي. . . دعوت الله ألا يستطيع أن يدخل حتى أصل. . . أراه يحاول أن يخترق باب الغرفة ويضربه بكتفيه بكل ما أوتي من قوة. . . ولما لم يستطيع رأيته يحوم حولها. . . وقفت للحظة وأنا أسمع أنفاسي المتلاحقة كبركان هادر. . . أخذ عقلي يعمل بسرعة رهيبة حتى أستطيع أن أدخل قبل ذلك المتسابق، وقبل أن يصل إلى الغرفة مَنْ ورائي من المتسابقين.

أيقنت أن باب الغرفة هو الحل والمدخل. . . فقد دفعه المتسابق الأول عدة مرات بقوة، ولا شك أنه أضعف أماكن الدخول. . . ثم إنني تذكرت أن آتي البيوت من أبوابها. . . رجعت بعض الخطوات إلى الخلف. . . ونظرت إلى الباب بإصرار وعزيمة جبارَين. . . صرختُ صرخة هائلة دوت في سماء السباق. . . وانطلقت قدمي تدفع الأرض من ورائي في قوة جبارة. . . وما إن اقتربت من الباب، حتى قفزت قفزة لم أكن لأتخيل أني أستطيع أن أفعل مثلها. . . طرت في الهواء نحو الباب ورأيته يقترب مني. . . وضعت يدي أمام عيني لأحميها وأنا قاب قوسين أو أدنى من باب الغرفة الذى اقترب. . . واقترب.

أحسست به يصدم بي. . . فتوقعت شدة الصدمة وهو لها. . . فمددت قدمي في الهواء نحو الباب. . . و. . . وفُتح الباب. . . وتدحرجت معه إلى داخل الغرفة عدة مرات. . . وصرخت مرة

أخرى. . . ولكن هذه المرة لم تكن صرخة إصرار. . . بل كانت صرخة المنتصر. . . . .

أخذتُ نفَسي وأنا ملقىً على الأرض. . . ثم نظرت داخل الغرفة فوجدتها. . . إنها أجمل من رأت عينيّ على الإطلاق. . وجدتها تنتظرني وكأنها قطعة من الياقوت والمرجان. . مشيت نحوها في هيام لا أدري ما حولي. . لم أشعر بنفسي وأنا أُخرج من جيبي باقة ورد. . كل وردة بلون مختلف. . تقدمت نحو خدرها البيضاوي الشكل المخملي. . ورأيتها ترفع إليّ بدورها بباقة ورد أخرى وهي تقول: هيا إليّ، فأنا في انتظارك.

دخلت خدرها وداعب أنفي أريجُ المسك الذي تعطرت به فرفعتُ باقتي ذات الثلاث والعشرين وردة إليها. . فرفعت لي هي باقتها بدورها. . . ولم أدر بنفسي وأنا يخامرني ذلك الشعور اللذيذ وكأنني سكران في هيامها. . . لم أرني وإياها إلا كهاتين الباقتين التحمتا معاً في حب وهيام. .

لم أدر أن بعد زهاء تسعة أشهر من هذه اللحظة الحميمة. . سيولد متسابق جديد، وهو يحمل معه باقة ورد أميرته. . ليبدأ مرة أخرى أعظمُ سباق في التاريخ. . . .

* * *

ومضت الأشهر التسع وحملت حملاً خفيفاً بعد أن نُفخ فيه رُوح الله.. ليخرج إنساناً إلى نور الحياة.. بعد أن خاض أبوه ذلك السباق، وفاز به فالفوز به لأعظم المنَى.... .

... وبعد أن لبث هو وأمه في ظلمات ثلاث.... .